النشاط الثقافي في الوطن العربي

من مراسلي "الآداب"

لبنان

مقابلة مع ادونيس

***

لا تزال الصحف اللبنانية تتحدث عن ديوان الشاعر « ادونيس » الاخير « المسرح والمرايا » . وقد اجرى مندوب « ملحق الانوار الادبي » حديثا هاما مع المؤلف رأينا ان نثبته فيما يلي :

س ـ بأي معنى تنظر الى صلة الشعر بالسياسة ؟

ج ـ اولا : بمعنى أن الشاعر مواطن في دولة ومتضامن مع الانسان . فالانسان بالنسبة اليه ليس شيئا كبقية الاشياء ، بل كائن آخر يتحاور معه ويتواصل .

ثانيا : بمعنى ان الشعر ليس شكلا ادبيا او فنيا وحسب ، وانما هو شكل من اشكال الحياة والوجود .

ثالثا : بمعنى ان الشعر اتجاه يمكن أن يخلق به الشاعر واقعه في التاريخ . فالشعر جزء من الثقافة ، والثقافة هي في آن فكر وعمل، نظر وتطبيق ، أي تنفيذ وسياسة .

رابعا : بمعنى ان الشعر هو ، جوهريا ، ثورة ، اعني ابداع مجتمع جديد حقا .

س ـ لكنك تنتقد دائما ، على ما اعلم ، كثيرا من الشعر العربي الجديد لانه ممتزج بالسياسة !.

ج ـ لا انتقده لانه سياسي ، بل لانه انعكاس سريع سطحي عن الواقع ، ولانه يفهم السياسة فهما خاطئا . فهو في الواقع حزبي ـ اي منخرط في اتجاه سياسي معين ينفي الاتجاهات الاخرى . ولذلك فان زاوية الرؤية عنده ضيقة ومحدودة ، واذا ضاقت الرؤية تضيق الرؤيا.

السياسة التي اعنيها هي الانهماك بالانسان كانسان ، لا كحزبي او نصير ، هي هذا الهجس بمصير الانسان والعالم . الالتزام ، من هذه الشرفة ، كلمة ضيقة . استبدلها بكلمة بلبال . الشاعر لا يلتزم العالم. العالم بلبال الشاعر . الكون كله بلبال الشاعر . الشعر هاجس كوني .

س ـ هل تعني ان الشعر لا يجوز ان يعكس الواقع ؟

ج ـ اعني ان الشعر كالشاعر جزء لا يتجزأ من الواقع . لكن الشعر ، فيما يعاني الواقع ، لا يعكسه بل يخلقه ، اي يبدع له صورة جديدة ، ومن هنا كانت الفاعلية الشعرية متجهة الى المستقبل لا الى الماضي . أي أن الشعر لا ينحصر فيما هو كائن ، وانما يتجاوزه الى ما يكون ، او الى ما لم يتحقق بعد . بهذا المعنى نقول ان الشعر لا يفسر الواقع ولا يصفه ، وانما يغيره ـ اي يخلق واقعا اخر .

س ـ اعتقد اننا نقترب من « المسرح والمرايا » مجموعتك الشعرية الاخيرة . فكيف تفسر اعتمادك فيها على الماضي ، اعني على التاريخ العربي ؟ .

ج ـ الاعتماد هنا لا يعني عودة الانكفاء والتقلص . وانما يعني عودة اضاءة لاحداث التاريخ العربي . عودة فهم جديد لاحداث هذا التاريخ في ضوء الحاضر الذي نعيشه ، والمستقبل الذي نتطلع اليه . هكذا تفرغ احداثه من تاريخيتها العادية ، من وقتيتها ، لتصبح رموزا. فالشعر في « المسرح والمرايا » متصل بواقعنا الخارجي في الماضي والحاضر ، لكنه في الوقت نفسه ينفصل عنه تطلعا الى واقع اخر ابهى واكمل . انه يخلق التاريخ الاخر ، الانسان الاخر . فهو شعر يتجه الى المستقبل ، فيما ينبثق من الماضي . لكن قيمته الاولى تكمن في اتجاهه نحو المستقبل ، لا في انبثاقه من الماضي . غير ان معرفة الماضي هي التي تتيح له ان يتجاوزه الى المستقبل . فمن لا يعرف الماضي لا يعرف المستقبل ، لا يعرف الحاضر كذلك .

ان الشعر الذي لا يكون مسكونا بالمستقبل لا قيمة له . والمستقبل لا يسكن الفراغ ، لا يسكن الشعر المقتلع ، الغائب الهائم ، دون اصول او تاريخ . فالشعر يرى نفسه ، يتحقق ، يكتمل في التاريخ .. هذا يعني ان الابداع الشعري لا يكتمل الا بالابداع التاريخي . فالتغيير انساني شامل لا فني وحسب .

س ـ المستقبل اذن ، يعني التغير ، الثورة ؟!

ج ـ تماما . أي ان الشعر المتجه الى المستقبل هو بالضرورة شعر ثورة . أي شعر يرفض ويغير . وهو نقيض الشعر الذي يقبل الواقع كما هو ، فيصبح انعكاسا له : يصبح وثيقة او ظاهرة اجتماعية عادية كبقية الظواهر .

ان الابداع الشعري هو هذا التوتر الرافض ، المغير ، بين الواقع والممكن ، الماضي والمستقبل ، الحياة كوضع مفروض او جامد ، والحياة كحرية وحركة .. وبهذا المعنى يمكن القول ان الشعر ثورة دائمة .

س ـ الارتباط بالتراث ، بالتاريخ يطرح السؤال التالي : فهل ينبثق الشكل الشعري من الماضي ام من المستقبل ؟

ج ـ حين يولد الشكل من الماضي وحسب ، يولد ميتا ، لانه يكون نسخا .

الشكل الشعري هو الشكل الحي : المتأصل ، لكن الحر ، حتى ليبدو انه آت من المستقبل . انه التأصل في الماضي لكن بحرية المستقبل ولا نهائيته .

الشكل الخاص بشاعر ما ، بشعر ما لا يوجد الا حين يحقق في آن معا : التأصل والحرية ، القاعدة والحركة ، التراث والتجاوز .

الشاعر الجديد حقا لا يهدم الاصول ، بل يهدم ما بني جهلا او خطأ على الاصول . انه يكشف عن الاصول ، يعيد بناءها . الانطلاق مما بني على الاصول انطلاق تقليدي ، غير شعري ، يحبس الدفعة الشعرية في معتقل شكلي . مهمة الشعر هو التحرر من هذا المعتقل ، هو تحطيم المعتقل .

س ـ هل ترى ان ما حققه الشعر العربي الجديد ، من هذه الناحية ، كافيا ؟

ج ـ حقق اشياء كثيرة لكنها غير كافية . بل اخشى أن يسقط في شكلية ثانية قد تكون اكثر جمودا من الشكلية التي ثار عليها . اعني انه يتجه الى ان يصبح شكلا واحدا ، يسير في خط واحد رفيع كالخيط . هذا من جهة . من جهة ثانية اصبح المقلدون اكثر عددا من الاصيلين باضعاف . ثمة شعراء يمكن اعتبار دواوينهم قصيدة واحدة ، بشكل واحد ، بايقاع واحد ، بتركيب واحد ، بنسخة واحدة ، بافق واحد . هذا مما يجمد حركة التجدد ، مما يوحي ان السهولة بدأت تهددنا . خصوصا أن المقلدين يزدادون وان حضورهم على المسرح شبه غامر ، وذلك بوساطة وسائل الاعلام . من هذه الناحية ، تبدو الصحافة الادبية وبعض دور النشر قبرا للشعر . انها نوع من التشويه والتمييع والتزييف بحيث يختلط كل شيء بكل شيء ، ويمتزج الرديء بالجيد ، والمقلد بالمبدع ، وتضيع المقاييس .

س ـ هل استطيع ان اعرف من هم في رأيك الشعراء العرب المبدعون اليوم ؟

ج ـ اولا : انني اؤمن بوجود شعراء عرب مبدعين . ثانيا : ان العارفين بالشعر يعرفونهم واحدا واحدا . ثالثا : لا اظن ان من الصحيح

ان يقيم شاعر شاعرا اخر من جيله ، بل الصحيح هـــو ان يفسره . المبدعون عائلة واحدة يمكن ان يفهم بعضهم البعض الاخر . لكن التقييم يجب ، على الارجح ، ان يترك للناقد ، للقارىء البصير . لهذا لن يفيد شيئا تعدادهم . انني شخصيا افرح بنتـــاج هؤلاء المبدعين ، فرحـي بنتاجي ذاته .

س ـ وهل رأيك في نتاجهم كرأيك في نتاجك ؟

ج ـ اظلمهم كثيرا ان كنت ارى الى شعرهم كما ارى الى شعري.

س ـ وكيف ترى شعرك ؟

ج ـ لا اعرف . انا اجهل الناس بشعري . اعرف ان القصيـــدة التي اطمح الى كتابتها لم اكتبها بعد . فانا اشعر كأنني اجيء مـــن المستقبل ، كأنني لم ابدأ بعد ..

س ـ اعود لاستجلي رأيك في بعض نواحي الشكـــل الشعري . يمزج البعض احيانا بين الشكل والشكلية . فكيف نميز بينهما ؟

ج ـ لا شعر بلا شكل . لكن الشكلية تقتل الشعر . لان الشكلية انصراف الى اللغة كأداة خارجية قائمة بذاتها . أي الـــى اللفظيـــة البيانية البديعية . الشعر الذي يعني ، قبل كل شيء ، عامدا وعن وعي كامل ، بالالفاظ وتركيبها ، لا يكون امينا لما يشتغل في ذاته ، بل يصبح امينا للغة . هذا يقوده الى الانفصال عن الحياة ، عن الشعر ... يقوده الى الشكلية .. الشعر هو أن نقاوم الشكلية ، وهو ، من هذه الناحية، ان نقاوم اللغة .

الشعر العربي تخلف او انحط منذ ان اصبح اسيـــر الشكلية . فالانحطاط بعني ان الشعر تحول الى شكل معلق بالالفاظ قائـم عليها . مثل هذا الشكل ايهام لا حقيقة . انه عادة من نسق ما ، تركيب مـــا . انه بناء فوق الفراغ .

الانحطاط هو أن يصبح الشعر نسخا مزركشة عن القصائد القديمة التي حولها النسخ والاجترار الى اشياء . والواقع ان ما نسميه فـي تاريخنا الشعري عصر الانحطاط ، لم يكن الا اطارا فارغا ، دهليزا كبيرا مليئا بالاصداء ، وليس فيه غير الانقاض .

وهكذا بدا ان الشعر انتهى . لكن ما نسميه عصر النهضة اكتفـي بأن جمل هذه النهاية ونثر فوقها الزهور الاصطناعية الصفراء . كـــان لا بد للشعر كي يبعث ثانية من تلك الطفولة الطائشة ، غير الناضجة ، لكن الساحرة : جبران خليل جبران .

س ـ اذن لا ينحصر التجديد في الشكل ؟!

ج ـ اما ان يكون التجديد شاملا كليا واما انه لا يكون . فالتجديد الشعري هو تجديد مفهوم الشعر ومعناه ، لا شكله وحسب . ومن هنـا كانت قيمة القصيدة لا ترتبط بالشكل وحده ، لا ترتبط بنظامها الخارجي وحده ، وانما ترتبط بما تكشف عنه من الابعاد الانسانية والتعبيرية .

س ـ احب ان نوضح نقطة ثانية تتعلق بالشكل . كيف تنظر الـــى الصلة بين الشكل والوزن ؟

ج ـ الوزن شكل موسيقي قد يكون حتى الان انجـــح الاشكال . لكنه ليس الشكل الوحيد . انه ظاهرة خاصة من ظواهر الايقاع . هـذا يعني أن هناك مجالا واسعا لاشكـــال موسيقية جديـــدة ، اي لاوزان شعرية جديدة .

س ـ انت تفرق بين الوزن والايقاع ؟!

ج ـ الايقاع تناوب منتظم . الايقاع الشعري هو تناوب المقاطع فـي تنسيق منتظم . الايقاع اذن حركة والوزن شكل مـن اشكالها . وليس الوزن التقليدي الا تآلفا ايقاعيا معينا . ومما يميز الشعر الجديد عـن الشعر القديم هو ان الجديد يحاول ان يخلق تآلفات وتناوبات ايقاعيـة جديدة . وفي ذلك يحاول الشعراء الجدد أن يطوروا مفهوم الشعر من الناحية الوزنية : فالشعر تآلف ايقاعي لا وزني .

بقيت الاوزان في الشعر العربي حية ، متحركة ، صحيحة الى ان حاول النقاد ان يجعلوا منها قواعد نهائيـــة . يخضعون لها اللغـــة الشعرية ، ومقياسا يميزون به الشعر عن النثر . وكانوا بموقفهم هـذا يستعيضون بالجزء الذي هو الوزن عن الايقاع الذي هو الكل . من هنا جمود الاوزان ، وتحولها الى قوالب . ومن هنا ، بالتالي ، جمود الشعر.

الوزن علم ، أما الايقاع فطرة . اعرف اشخاصا كثيرين يحسون بايقاع القصيدة دون ان يعرفوا وزنها ، او يفهموا قانـون التفاعيل او الوحدات الايقاعية فيها .

ولان الوزن علم يمكن تجاوزه كماض الى « علم » اخر اكثر صحة ـ الى الايقاع الذي هو ، بطبيعته ، حركة مستمرة . وهذا ما يسعى اليه الشاعر العربي الجديد ، اذ يتـــرك الوزن التقليدي « العلمـــي » ، ويستخدم توزيعا دوريا ، متناوبا ، متآلفا للتفاعيل او للوحدات الايقاعية.

س ـ من هذه الناحية ومن ناحية المضمون كذلك ، يوصف شعرك عادة بانه شعر يتساءل ويكشف .. لكن الى اين سيصل ؟

ج ـ كأنك تشير الى رأي القائلين ان نتيجة الشعر الذي يتساءل ويكشف هي الصمت ، ويعنون بذلك فشله ، بشكل او اخر في الوصول الى اجوبة عما يتساءل حوله او يحاول ان يكشفه . ويأخذون مثلا على ذلك رامبو .

غير انهم ينسون ان شاعر التساؤل والكشف لا يتطلع الى اهداف محددة واضحة يحاول تحقيقها ، وحين لا يحققها يفشل . أن اهدافـه هي في التساؤل والكشف . هي في التطلع الى الممكن الذي يظل ممكنا. ان هدفه هو المستقبل الذي يظل مستقبلا .

س ـ لكن ، أليس في هذا التطلع نوع من الغربة ؟

ج ـ لكنها غربة مضيئة وفعالة لانها تقيم عازلا قويا في وجه العادة والمفاهيم والاطر العقلية المشتركة الجامدة . بهذا تخرج الاشياء مـــن سياقها الاليف ، وتتيح للانسان ان يحيا في اليقظة الدائمة . تتيح لـه ان يكتشف الالق الدائم في الاشياء والعالم .

الغربة هنا هي تجاوز الماضي وانسانه القديـــم ، والحياة فـــي المستقبل وانسانه الاتي .

س ـ كيف يمكن اذن فهم الصلة بين الشعر والواقع ؟

ج ـ الشعر جزء لا يتجزأ من الواقع ، لكنه لا يحيا به بل بالصورة التي يكونها عنه . الشاعر يصهر الواقع في حساسيته ورؤياه . يحوله الى ايقاع . يعيد كل شيء فيه الى فرادته الخاصة ، فيما يصل كـــل شيء بكل شيء .

الشاعر يرى من الواقع بعده الداخلي لا الظاهري . هكذا يجرده من تفككه وفوضاه بحيث يبدو كأنه لا يعود موجودا الا بداخله المضيء ، بايقاعه وشفافيته . الشاعر ، بكلام اخر ، يخلخل مظاهر الواقع ويشيع فيه الحلم والخيال ، لكي يولد منه واقع اخر اكثر غنـــى وانسانية . وهو اذن لا ينفصل بل يستحيل ان ينفصل عن الواقع ، وانمـــا يرفض شكلا من اشكاله .

التعبير عن حالة او لحظة من الواقع تعبيرا مباشرا يعزل هـــذه الحالة او اللحظة ويراها بحد ذاتها ، هو ، فنيا ، أبعد شيء عن الواقع. فالتعبير ، مثلا ، عن حركة ثورة قائمة لا يقدم الا شهادة عـــن وضع طارىء . ولكي ينجح الشاعر في التعبير عن الثورة لا بد له من تحقيق تركيب شعري بين الثابت والمتحرك ، بين الثورة كحركة اصلية فـــي الحياة ، والثورة كحركة زمنية .

س ـ قلت ان الشعر جزء لا يتجزأ من الواقع فكيف توفق بين هذا القول وما في شعرك من صوفية او ، على الاقل ، من تأثر بالصوفية ؟

ج ـ قبل أن اجيبك احب ان اوضح أن الصوفية كما افهمها تتناقض جوهريا مع الصوفية كما يشاع عنها ، وكما يفهمها الباحثون التقليديون.

احب ثانيا ان اقول ان الجواب ليس سهلا ، وانه لن يكون ، فـي أية حال ، محيطا او كافيا .

الجواب موجزه في النقاط التالية :

١ ـ ليست الصوفية انفصالا عن الواقع ، وليست نقيضا للواقع. بل على العكس . ان الصوفية تجربة حياتية لا تجريدية . انها تجربـــة الانسان المليء بالواقع . المتصوف ، تحديدا ، نقيض النظري . الحلاج نقيض سقراط . سقراط يفضل العقـل ونظامـه علـى الحياة . يحاكم الحياة بنظام عقلي . الحلاج لا يرى العقل الا من حيث هو حياة وتجربة.

فهو يحاكم العقل بالحياة والتجربة .

٢ ـ في الصوفية نزعة مأساوية ، أي تراجيدية ، تتم في جدل الفرد والشخص ، المخلوق والخالق ، الحاضر والغائب ، الواقع وما وراء الواقع ، الموت والحياة . الصوفية تمحو الفرد في الشخص ، وتذيب الشخص في كأس شخصي ـ لا شخصي ، أي كائن يتجاوز الشخص ، لكنه هو نفسه شخص .

٣ ـ ان الحياة التي يؤكدها الصوفي ليست الحياة في ظاهر العالم ، بل في جوهره . فهو ينفي الحياة ويؤكدها في آن ، أو ينفي الواقع ويؤكده في آن . ينفيه بشكله اليومي ، الفاسد ، العاجز ، ويؤكده بشكله الجوهري الحي . الصوفي هو ديونيزوس وابولون في آن : ديونيزوس من حيث انه قوة اتجاه الى الموت ، وابولون من حيث ان اتجاهه هذا مرتبط اساسيا باكتشاف جسد العالم وجمال هذا الجسد .

٤ ـ الصوفي اذن لا ينفي الحياة لانها باطلة ، عدمية ، غبية . وانما ينفيها لانها تحجب الحياة الحقيقية . غير انها كتحجاب جزء لا يتجزأ من الحياة الحقيقية ، ومن الحقيقة نفسها . انها صورة الحقيقة . لذلك لا ينفيها ، بل يتجاوزها .

ولست اجد في هذا كله الا الثورة ـ اي تغيير الواقع وتجاوزه ، فيما نحيا فيه ونحتضنه .

الشعر هنا والتصوف والثورة واحد : محاولة اكتشاف الجانب الاخر من العالم ، الوجه الاخر من الاشياء والحياة . وبعبارة ثانية ، الاتجاه نحو المستقبل .

س ـ ان تأتي بالصوفية يقترن دائما بفكرة السفر . فالسفر من الكلمات ـ المفاتيح في شعرك ، فماذا يمثل بالنسبة اليك ؟

ج ـ حين نسافر ندخل في نهر الحركة . يزول عن الجسم غشاء المكان الذي كان يغمره . يكتشف الجسم انه ، هو كذلك ، فضاء اخر . فالسفر يعطي للجسد بعدا وجوديا اخر ، يشيع فيه الوجود كله ، ما يكون ، ما يحتمل ان يكون وما لا يحتمل ذلك ان الجسد اذ سيسافر يتقدم في المفاجيء ، اللانهائي .

والجسم في السفر نفس ثانية . ولعل في هذا ما يوضح ان الانسان يزداد في السفر فهما لنفسه ، فكأن السفر شفافية تصلنا بأعماق انفسنا ، وتصلنا بأبعاد العالم . ففي السفر تتلاشى المسافات ، ونشعر بأن كل شيء قريب . السفر اقتراب . يوحدنا بالعالم ، يؤكد لنا اليقين بالعالم .

س ـ ان كان السفر مفاجأة ، فهو خطر ؟!

ج ـ صحيح . فهناك صلة بين السفر والموت . بل انني اتساءل : هل السفر كحركة خالصة ، نوع من الموت ؟ هل السفر كاتجاه ، كانتقال، كدخول في بعد اخر ـ اتجاه وانتقال الى مملكة الموت ، ودخول فيها ؟ لكن ماذا يعني الموت انذاك ؟ يعني معانقة حضور كان من هنيهة غيبا . فالسفر فوهة ، لكنها اذ تتصل بالهاوية تتصل بالشمس .

الحب ، بهذا المعنى ، سفر . الشعر سفر . نحن ، بهذا المعنى ، احياء بقدر ما نسافر ، اي بقدر ما نموت !

ماركسية القرن العشرين

تاليف
روجيه غارودي
ترجمه نزيه الحكيم

يقول روجيه غارودي ، مؤلف هذا الكتاب الخطير ، وهو احد ابرز فلاسفة الماركسية اليوم ، ما يلي :

« ان الجزائري ذا الثقافة الاسلامية يستطيع أن يصل الى الاشتراكية العلمية بدءا من منطلقات أخرى غير سبل هيغل أو ريكاردو أو سان سيمون . فلقد كانت له هو الاخر اشتراكيته الطوباوية ممثلة في حركة القرامطة ، وكان له ميراثه العقلي والجدلي ممثلا في ابن رشد ، وكان لديه مبشر بالمادية التاريخية في شخص ابن خلدون . وهو على هذا التراث يستطيع أن يقيم اشتراكيته العلمية » .

ويقول الاستاذ نزيه الحكيم مترجم الكتاب :

« ان هذا النص يأتي بالجواب الحاسم حلا للجدل اللفظي الذي احتدم طويلا بين مثقفينا التقدميين حول الاشتراكية التي تأخذ بها بعض اقطارنا ، وهل تكون « اشتراكية عربية » أم « طريقا عربيا الى الاشتراكية » . والحق ان المؤلف قد طرح بمثاله هذا **قضية القومية العربية وعنصر تراث القيم الانسانية فيها كانه اثر مسلم به من وجهة النظر الماركسية ...** وهذا يدل على استعداد لقبول اشتراكية « علمية » غير ماركسية ، وهو تطور يعتبر كسبا ضخما حقا ، ويمكن أن يكون كسبا عربيا ، لاننا اذا وعيناه، ونحن في بداية مسعانا الجديد للخروج من القاع ، **فلن نجد انفسنا مكرهين على الاختيار الوحيد بين نار الاستغلال الرأسمالي باسم حرية الفرد ، وبين صقيع الطغيان الفئوي باسم مصلحة الجماعة .** بل ستكون مسؤولية المثقفين العرب بالذات ـ في هذه المرحلة ، وتأسيسا محتوما على المنطلق القومي الوحدوي الذي لا بديل له من التجزئة ولا من الامية ـ أن يفتحوا ابواب الحاضر العربي ، الفاسد الهواء ، على الهواء النقي الذي يحمل بوادره عطاء الفكر العالمي غير المتزمت تحت شعار الحوار » .

ونعتقد ان هذا يكفي للاشارة الى اهمية كتاب « ماركسية القرن العشرين » **الذي نقدمه اليوم** ، والذي اثار ضجة كبيرة لدى صدوره منذ اشهر قليلة بين المفكرين الماركسيين وغير الماركسيين ، اذ يعتبر خطوة رائدة هامة على طريق الحوار المفتوح ، طريق تحرير البشر من « الايديولوجيات » الشمولية التي تزعم تفسير الانسان والطبيعة تفسيرا احاديا نهائيا يفرض غيبية جديدة باسم العلم .

وسيقرأ المثقف العربي في الكتاب فصولا تحليلية عميقة تتناول موقف الماركسية « الجديدة » من مبدأ المعتقدية ، والاخلاق ، والدين ، والفن . وسيجد المثقف العربي فيه، بلا شك، مادة غنية للدرس والتفكير.

الثمن ٤٥٠ ق.ل

صدر حديثا

ج.ع.م.

من : سامي خشبة

التخمة والجوع ، وحديث الجن !

النشاط الثقافي في الجمهورية العربية المتحدة ؟ ـ انه نشاط وافر وكثير وبراق كدأبه دائما .. مسرحيات وافلام ، كتب تضم قصصا او اشعارا او مقالات او دراسات او روايات ، مؤلفة ومترجمة ، برامج اذاعية وتليفزيونية ، ابواب ثقافية ـ ثابتة وغير ثابتة ـ في الصحف والمجلات ، ومجلات كاملة لا تهتم بغير الثقافة الادبية والسياسية والعلمية ، مناقشات وندوات ، واخر صورة لهذا النشاط تكوين ناديين للسينما في شهرين متتاليين اولهما يتبع وزارة الثقافة والآخر يتبع نقابة الصحفيين ، اعداد خاصة عن الشباب وعن توفيق الحكيم وعن القصة القصيرة ، مجلة المسرح تصبح مجلة للمسرح وللسينما معا ، ويتضاعف حجمها وثمنها ورئاسة تحريرها وتنفد من السوق في ساعات . ولكن كل من يستهلكون هذا النشاط الجم لا يزيد عددهم عن مليونين من سكان الجمهورية العربية المتحدة .. نصف او ثلث سكان القاهرة .. وواحد على خمسة عشر من سكان الجمهورية العربية المتحدة التي نتحدث الآن عن نشاطها الثقافي !.

***

وقد كنت أود ان اجعل من هذه الرسالة استعراضا عاما لحياتنا الثقافية والفكرية في العام الماضي ، وان احاول تسجيل ما اخرجته المطابع من انتاج جديد . وكنت اظن ان هذا الاستعراض وذلك التسجيل قد يكونان في مجموعهما أصلح طريق لاعادة اكتشاف الصورة الصادقة والقيمة الحقيقية لاهتماماتنا « الروحية » في هذه الايام الجوعانة الى الغذاء الروحي الوافر والاصيل . ولكن النظرة الرأسية التي تحاول النفاذ الى الاغوار قد تكون أصلح من النظرة الافقية المستعرضة التي قد تكتفي بالسطوح اللامعة . ولكي لا نجمع الى ضحالة البحر الذي نوشك ان « نسير » فيه ـ ولا أقول « نخوض » ـ ضحالة النظر اليه ، لم يكن بد من ان نختار زاوية معينة ننظر منها الى « النشاط الثقافي في الجمهورية العربية المتحدة » ، زاوية تهيىء لنا في البداية ان تكون نظرتنا نافذة وان نحصل منها على رؤية تجمع ما تستطيع أيدينا ان تصل اليه . ولم نجد زاوية أصلح من زاوية الصحافة المصرية ، وبالذات زاوية ما يكتبه الاساتذة والاصدقاء ، كتاب الصفحات الثقافية والسياسية والفكرية . لن نستعرض كل ما يكتبونه الآن ولن نشترك في مناقشته ـ فذلك قد يدفعنا الى ما نود ان نتجنبه ونحب لهم ان يتجنبوه ـ بل سنحاول ان نكتشف معناه ، وان ننفذ الى ما تحت السطح ، وما تحت القاع .

لا نحب ان نكون من المنشائمين الذين لا تقع ابصارهم الا على جوانب القصور بل والفساد الذي لا مرية في وجوده ، ولا يوجهون قذائف نقدهم الا على الاركان المتصدعة او الخربة او الضعيفة . بل نعتقد اننا ما نزال ـ مثلما كنا ومثلما سنظل ـ قادرين على تمثل ثمار العقل الانساني العظيمة ، بمثل قدرتنا على انبات هذه الثمار ، مهما بدت على وجوهنا ملامح هزلية او خرجت من حلوقنا تأوهات يائسة ... فالعقم لم يتسرب الى ارواحنا ، لم ندخل بعد من الباب الذي كتبت عليه كلمات تنصح الداخلين بان يطرحوا عنهم كل أمل ، فهذا الباب لا يدخله الا الموتى وحدهم من الخطاة . اما نحن فما نزال احياء واخطاؤنا ليست في معيار الحياة خطايا نستاهل في مقابلها العذاب الابدي ... اخطاؤنا ثمرة تجربتنا وشجاعتنا على خوض التجربة .

وليست هذه كلمات عزاء نقولها لنتسلى عن هم فادح او حزن مقيم ، لكنها الكلمات التي اعتقد انها التعبير الحقيقي عن وجدان الناس العاديين في بلادنا وفي كل مكان ـ الذين لا يقدرون ان يستهلكوا منتجات النشاط الثقافي في ج. ع. م ـ والذين لم يتحول الحزن عندهم الى عادة سيكولوجية ، والذين يركنون الى العمل ويثقون في المستقبل ولا يفكرون في الموت الا في لحظة الموت . وهم الذين لم يتحول اليأس عندهم الى مصطلح لغوي يحلو لهم ان يلوكوه ليؤكدوا لانفسهم وللاخرين انهم يعيشون عصرهم بالعمق الجدير بانسان « مثقف » ـ هذه الكلمة التي اصبحت مرادفة عندنا لكلمة « معقد » .. (وانا استخدم هذه الكلمة الاخيرة بمعناها الشائع المتداول في مقاهي المثقفين في القاهرة) .

والمشكلة هنا ـ بالنسبة للمثقفين ـ ليست هي الجلوس في المقاهي ولوك الكلمات ذات المعاني والتي لا معنى لها ، وانما المشكلة ان ينقل الكاتب روح المقهى الى ما يكتبه حينما يتراوح موقفه بين الهجوم الكاسح على كل شيء او السخرية من كل شيء ، او الاستهزاء المستخف من أي كاتب او ناقد أو مفكر يصر على ان يحمي نفسه من « روح » المقهى ان تتسلل اليه او ان تسمه بميسمها المدمر . حينئذ يشرع المهاجم او الساخر أو المستهزىء المستخف في رفع شعار تحديد معاني الكلمات حتى يمكن ان « يقوم تفاهم بين البشر » .. (مثلما فعل الاستاذ موسى صبري ـ مثلا ـ بعد ان اقحم نفسه في مناقشة قضية جائزة القصة القصيرة ، وقام بمحاولة في التقييم النقدي لابراهيم الورداني ودافع عن حق الورداني في نيل الجائزة .. ثم قام بمحاولة مشكورة لتحديد معنى كلمة « رواية » بعد ان خلط بين الرواية والقصة اعتمادا على شرح الاستاذ احمد حسن الباقوري شيخ الجامع الازهر) . وهكذا تضيع قضية « التفاهم » المنشود ، التي نبرز الى الوجود حينما تتميع حدود كل قضية اخرى ...

فالتفاهم ممكن بين عقلاء يتحدثون عما يعرفونه ويطرحون الاسئلة عما ينشدون معرفته ، ويضعون الافتراضات حول ما يشكون في معرفتهم له ، بينما يكاد التفاهم أن يكون مستحيلا بين عقلاء يفعلون هذا كله أو يجهدون ان يفعلوه ، وبين « مثقفين » يلوكون الكلمات في المقاهي وعلى صفحات صحافة القاهرة . وربما كان من المنطقي ان يخلط موسى صبري هذا الخلط وان يحرف المناقشة الجادة التي اثارها رجاء النقاش حول الدور الذي يلعبه المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ـ هذا الدور الذي يشوب جديته هزل كثير ـ قد يكون من حق موسى صبري ان يفعل ذلك كله طالما استطاع أن يستلب لنفسه حق اقحام نفسه على ما لا يهتم به الا من الزوايا الشخصية او الاثارية ، وقد يكون من حقه ان يلوك كلمات لا يعرفها ثم يعود الى المطالبة بتحديدها ثم يتطوع فيحددها اعتمادا على كلمات اخرى يلوكها دون تحديد .. فهذا لا يستغرب ممن يتحدث عما لا يعرفه ، ولا يسأل حتى يعرف ، ولا يشك في شيء فيضع حوله الفروض ... ربما كان هذا كله منطقيا وطبيعيا ومتوقعا ، ولكن الشيء غير المنطقي وغير الطبيعي وغير المتوقع هو ان يتحول الانحراف عن القضية الجادة الى موضوع جديد ، ثم يخرج انحراف جديد من الانحراف الاول ليصبح بدوره موضوعا رئيسيا ، ومن الطبيعي ان كل « انحراف » جديد يستلزم اطرافا جددا يدخلون المناقشة ومن الطبيعي حينئذ ان تتحول مناقشة شيء محدد الى نوع من « الهيصة » يثور فيها كل شيء في وقت واحد . فمنذ اثار الاستاذ رجاء النقاش موضوع المجلس الاعلى وضرورة تطوير لجانه ومهامه والدور الذي يلعبه في حياتنا الثقافية ، دخل عدد لا بأس به من الكتاب في هذا الموضوع . ولما كان رجاء النقاش قد اثار القضية بمناسبة جائزة القصة القصيرة التي منحتها اللجنة لابراهيم الورداني ، فقد بدأ « الرد » على رجاء من زاوية الدفاع عن ابراهيم الورداني ـ بدأ موسى صبري هذه المناقشة ـ وكان من الطبيعي ان تتحدد المناقشة في هذا المجال حتى يمكن « للمثقفين » الجادين حقا والمهتمين حقا بمجلس الفنون والآداب ان يصلوا الى نتيجة محددة بالنسبة لجائزة القصة القصيرة ولجنتها ـ على الاقل ـ وبالنسبة لبقية لجان المجلس وتشكيلاته وجوائزه واعضائه .. ان امكن وعلى الاكثر . ولكن من الذي يصدق ان ما حدث هو ما حدث بالفعل ؟ المناقشة ما تزال مستمرة حتى

الآن ـ ولكن بعد ان نسيت قضية المجلس الاعلى والقصة القصيرة وكل شيء متعلق بهما وبعد ان آثر رجاء النقاش ان يسكت والا ظنه الناس لجوجا يلح فيما لا طائل وراءه وفيما لا يهتم به أحد ! ـ وبعد ان اصبح موضوع المناقشة ... كل شيء ، تقريبا ودون مبالغة . فأنت قد تقرأ مقالا للاستاذ اسماعيل المهدوي ـ احد الاطراف الجديدة في المناقشة ـ فتجده يتحدث في البداية عن « جمعية الادباء » وانتخاباتها ، ولا تمر بك سطور قليلة حتى تكتشف انك تقرأ كلاما عن مستوى التعليم الذي وصل اليه احمد عبد المعطي حجازي ، ثم سطور قليلة اخرى لنغرق في مناقشة مجردة حول افضلية الترجمة على التأليف في هذه الظروف ، ثم افضلية العلم على الادب في عصر الثورة التكنولوجية ، ثم الازمة الراهنة في المجتمع المصري .. هل هناك ازمة ام لا ، ثم مناقشة لتقييم ترجمة الاعمال الكاملة لدستويفسكي وكيف ان بلزاك او ديكنز ضروريان لنا في هذه المرحلة ، ثم الدور الذي يلعبه اليسار وظاهرة الشللية ... الخ ... الخ . ويعلم الله ما الذي كان من الممكن ان يتناوله المقال الواحد فوق كل ما تناوله لو لم يكن للصفحة حيز محدد ـ ولو انه يبدو حيزا لا نهائيا مثل كون آينشتين ! وكأن هذا الكلام « العلمي ، التعليمي » قد كتب بأسلوب تداعي المعاني او تيار الوعي !. ولكن دهشتنا ستزيد حتما ان نحن قرأنا المقال التالي ـ المتوقع طبعا ـ الذي يكتبه الطرف المقابل من المناقشة ـ الاستاذ احمد عبد المعطي حجازي ـ اذ انك ستفاجأ بأنه يصر على ان « يرد » على مقال اسماعيل المهدوي .. نقطة نقطة وبالتفصيل ، مستشهدا بمزيد من الادلة التي لا بد وان تجذب الى المناقشة اطرافا جددا وموضوعات جديدة !. ونحن لا نود ان ندخل طرفا في هذه المناقشة ـ ولا نحب ذلك بالتأكيد ـ لانها ببساطة ليست مناقشة . فمن العسير أن نتبين من بدأ « الكلام » ومن بدأ « الشجار » ومن العسير أن نتبين كيف امكن أن يضم هذا الكلام كل هذه الغابة المشجرة من الموضوعات التي نتجاهل حياتنا واحتياجاتنا الروحية الحقيقية بقدر بعد تناولها عن الرغبة الموضوعية والجادة في الوصول الى جوهر المشكلة ـ ان كانت ثمة مشكلة ـ والى حل واقعي لها ان لاح ثمة امل في حل واقعي ، بعد أن تجاهل « المتشاجرون » القضية الاولى والتي اثيرت بأسلوب موضوعي ينبع من رغبة جادة في الوصول الى حل . ربما كان الدافع الى « التشاجر » احساس مرهق بالخمول يؤدي الى حالة نصبية لا يمكن السيطرة عليها ، خمول منشؤه التباعد العقلي المتململ الكسول عن « الناس » وعن حياتهم وعما يعانون بالفعل.

القاهرة اذن متخمة بكل شيء ، جائعة الى كل شيء ... القاهرة تنتج عشرات الكتب والمجلات والافلام والمسرحيات والبرامج الاذاعية والتليفزيونية ، وتستورد عشرات اخرى من كل « صنف » من هذه الاصناف ... ومع ذلك فأكثر ما تنتجه واكثر ما تستورده ، لا يستهلكه سوى نصف سكانها .. نصف سكان العاصمة ، وبقية الجمهورية العربية المتحدة تحاول ان تقلد القاهرة .. عواصم الاقاليم تكون فرقا للفنون الشعبية همها الاول هو أن تذهب الى القاهرة لتعرض برامجها على مسارح العاصمة بينما ما يزال ٧٢٪ من المصريين يعانون الامية

منشورات دار الاداب

تطلب في

الدار البيضاء (المغرب)

من

مكتبة دار العلم
للنشر والتوزيع

٤٠ شارع الملكي ـ الاحباس

تلفون ٦٢٣٠٩

طبقا لما جاء في برنامج مشروع منظمة الشباب الاشتراكي . أليس من حقنا اذن ان نقول ان هذه التخمة الثقافية ليست الا تظاهرا بالتخمة ... وان هذه التخمة انما هي جوع حقيقي الى « النشاط الثقافي » وهو ان يكون هدف هذا النشاط تثقيف الشعب كله لا مجرد امتاع نصف القاهرة ؟!.

ورغم هذا فمن الحق ان نقول ان صورة النشاط الثقافي في القاهرة ـ كما تتبدى من صحافتها ـ ليست بهذه الجهامة كلها .. هناك من يحاولون ان يهيئوا للجوعى سبيل الغذاء ... ربما خرجت اصوات جادة تحاول الصدق وتتوسل به الى نوع من الحقيقة والى التغلب على التخمة الكاذبة ...

ربما استطاع محمد عودة ان يكتب في أصرار يحسد عليه وجدية نفبطه عليها عن « الثورة » واحتياجها الى الحزب الثوري القائد ، وعن جذور النكسة وصلتها بالطبقة الجديدة والطبقات القديمة ايضا ، وعن ارتباط النكسة بغيبة ذلك الحزب الثوري القائد .

وربما استطاع يوسف ادريس او احمد بهاء الدين او رجاء النقاش او بدر الديب أن يصروا على مواصلة النظر الى الامور بجدية ، غاضبة احيانا وساخرة احيانا وهادئة متأملة في اغلب الاحيان . ولكن المشكلة هي ان كلامهم الجاد ، الغاضب او الساخر او الهادىء المتأمل ، لا يصل الا الى عدد من الناس يقل كثيرا عن عدد من يتجمعون في المساجد يوم الجمعة ليسمعوا خطبة الصلاة وليؤدوا فريضتهم . وفي خطبة الجمعة الماضية في احد مساجد القاهرة ، كان الامام الخطيب يتحدث عن كيف ان الجن يستمعون الى القرآن بافضل مما يستمع اليه الناس !!

الا تغرينا هذه المقارنة بان نطلب من اساتذتنا واصدقائنا ، الجادين هؤلاء ، الغاضبين احيانا ، الساخرين احيانا ، الهادئين المتأملين في غالب الاحيان ، ان يفكروا في ان يضموا الى الكتابة محاولة ان يؤموا الناس في الصلاة حتى يمكن ان تتناول خطبة الجمعة ـ التي يستمع اليها كل الناس الذين لا يعرفون القراءة والذين تتغذى بها ارواحهم ـ حديثا اخر غير حديث الجن ؟!.

وجه اخر للصورة

ولكن هل يعني احتكار القاهرة للجانب الاكبر من انتاج واستهلاك النشاط الثقافي في الجمهورية العربية المتحدة ، هل يعني ذلك ان نتجاهل ذلك النشاط او لا نتابعه ؟ اننا اذا انتقلنا من زاوية الصحافة المصرية الى زاوية الفن السينمائي ـ على سبيل المثال ـ لرأينا وجها اخر ربما التقينا فيه بجوانب ايجابية وبناءة يخطها فنانون ومثقفون شبان ما زالوا ـ رغم النجاح الذي يوشكون على تحقيقه . بعيدين عن الاضواء .. الكبيرة .

لقد ركزت وزارة الثقافة اهتمامها في البداية ـ بعد مجيء الدكتور ثروت عكاشة الى الوزارة ـ على قطاع الانتاج المصري ، واحدثت في مراكز قيادة هذا الانتاج تغيرات كثيرة لا شك في جدارة من اتوا بناء عليها في حقهم في « القيادة » ، وان كنا نتساءل عن مدى قدرتهم على قيادة قطاع السينما بالذات . ولكن الاساس الحقيقي الذي يقوم عليه اي فن اصيل ـ والذي يتكون اساسا ممن يستهلكون هذا الفن اولا ، ثم من يشتركون في ابداعه ، لم ينل اهتماما واسعا باستثناء معهد السينما الذي انقضت على انشائه ست سنوات .

ثم قررت وزارة الثقافة تكوين « نادي السينما » لتعرض فيه على اعضائه فقط ـ الذين يكونون في غالبيتهم جمهورا خاصا ـ الافلام التي لا تصلح للعرض التجاري سواء لاسباب رقابية او اقتصادية . وبعد اقل من شهر كونت نقابة الصحفيين ، النادي الثاني للسينما ، خاصا باعضاء النقابة . وقبل هذا بوقت قصير كان العدد الاول من « مجلة السينما » قد صدر داخل غلاف واحد مع « مجلة المسرح » القديمة ، على ان يتولى الاستاذ سعد الدين وهبة ـ السينمائي وكاتب المسرح ـ رئاسة تحرير الجزء الخاص بالسينما الى جانب الدكتور عبد القادر

القط رئيس تحرير مجلة المسرح . ونرجو ان نفرد لهاتين المجلتين حديثا خاصا . ولكن الخطوتين التاليتين هما مـا ينبغي ان نتوقف عندهما طويلا . اولاهما كان قيام وزارة الثقافة بانشاء نـواد للسينما خاص بالاطفال ، والثانية كانت البدء في انشاء نواد سينمائية اقليمية في اكثر من عشر محافظات . هذا الى جانب ندوة الفيلم المختار وهي ندوة تعقد في قصور الثقافة بجميع المحافظات ويحضرها كاتب او ناقـد معروف ويشترك فيها جمع كبير من اهالي المحافظات وهي مناقشة ندوة تمتـد احيانا الى الثالثة والرابعة صباحا ..

وهكذا يمكننا ان نحدد ملامح هذا العالم الجديد او اعمدته :

ـ نادي السينما التابع لوزارة الثقافة والذي بدأ نشاطه من يناير.

ـ نادي نقابة الصحفيين الذي بدأ نشاطه من فبراير .

ـ نادي السينما للاطفال ويتبع وزارة الثقافة وقد بدأ نشاطه مـن يناير ايضا .

ـ نوادي السينما في المحافظات .

ـ مجلة السينما التي صدر عددها الاول في يناير ...

كل هذا بالاضافة الى النشاط الجاد الذي يقوم به المركز القومي للافلام التسجيلية الذي انشىء عام ١٩٦٧ وكان من اهم احداثه الثقافية .. وقد انبثقت عنه مجلة « الثقافة والحياة » التي تقوم بها مجموعة من الشبان الجادين ممن يضمهم المركز من امثال هاشم النحاس واحمـد راشد ومحمد قناوي ومتى مجاهد .. وهي مجلة سينمائية تصدر شهريا وتعرض في دور السينما ، مهمتها استعراض اهم احداث الشهر الثقافية والحياتية ولكن بوجهة نظر موضوعية ودرامية جيدة وهناك ايضا جمعية الفيلم وهي جمعية يشرف عليها احمد الحضري عميد معهد السينمـا ومصطفى درويش مدير الرقابة على المصنفات الفنية وهـي وان كانـت تقوم بنشاط محدود نظرا لامكانياتها المادية الا انه جاد ومؤثر ومنتظـم يشترك فيه نخبة من المثقفين الذين كانت تهردهم على الدوام نتيجـة لعزلتهم بمتعهم الفنية الرفيعة ظاهرة تعميـم وتثبيت انعزالهم العقلـي عن جماهير الشعب دون محاولة كبيرة للتاثير فـي جماهير المتفرجين ـ رواد السينما ـ الذين كانت تتم عملية منظمة من اجل افساد اذواقهم ثم بالاعتماد على هذا الفساد فـي تبرير انحطاط مستوى الانتـاج السينمائي المحلي وانحطاط مستوى الافلام المستوردة .

كانت عملية الافساد المنظمة هذه تتم على ايدي اصحاب العالـم القديم ، النجوم او المخرجين او المنتجين الذيـن تسربوا بقوة الـى المؤسسات السينمائية الجديدة التي انشاها القطاع الحكومي او القطاع العام ويحرزون من خلاله وعلى حسابها مكاسب كبيرة تهدد في النهاية بالتهام تلك المؤسسات التي انشئت بأموال الشعب ثم تصفيتها لحساب اعمدة العالم القديم .

تهتم « جمعية الفيلم » اذن بعرض الافلام ذات المستوى الفنـي والفكري الكبير ، ومن مختلف المدارس الفنية والفكرية في العالم تبعـا لامكانياتها على اعضائها القليلين وتحرص على مناقشة كل فيلم واسلوب مخرجه والمدرسة التي ينتمي اليها . كان العمل هنا اشبه بمكتبة خاصة، مؤلفاتها كتبت بلغة اجنبية لا يتقنها الا القليل . ولكن « جمعية الفيلم » بعد تكوين نادي السينما الجديد التابع لوزارة الثقافة ثـم نوادي السينما في المحافظات اصبحت ـ موضوعيا ـ تعيش في عالم يمكن ان يصبح عالما اليفا ، واصبح من الممكـن « لمثقفيهـا » السينمائيين ان يضمنوا وجـود عـدد اكبـر مـن المتفرجين يتثقفـون ايضا ـ علـى مستويات مختلفة ـ بالفن السينمائي الجاد والانساني ؟ واصبح مـن المضمون ان يتزايد هذا العدد باستمرار حتى يمكن في النهاية ان يكون هو العدد المؤثر في السوق .. على الاقل في سوق القاهرة والمـدن الكبـرى .

وهكذا نضمن الا يتحول السينمائيون الشبان الجادون والمزودون بثقافة انسانية وفنية وسينمائية عميقة ، نضمن الا تزداد ازمة انفصالهم عن المجتمع المصري او بالتحديد عن المتفرجين الذيـن يشتركون الان او تشترك اعداد معقولة منهم في استهلاك الانتاج القليل الذي يقدمه هؤلاء السينمائيون الشبان وفي استهلاك الانتاج السينمائي الذي تستورده وزارة الثقافة لا للمثقفين المتخصصين في السينما وحدهم وانما لجمهور يتزايد باطراد ـ باشراف المدير العام على المصنفات الفنيـة (مصطفـى درويش) والحق أن مصطفى درويش بطريقته في تنفيذ الدور الـذي اختاره لنفسه انما يكسر الصورة الشائعة القديمة « للرقيب » صاحب المقص المزيف والقلم الاحمر المنذر بشطب كل شيء .. لم يعد الرقيب اذن حارسا على خزانة خاوية وانما حارس علـى خزانة حريص علـى ان يملأها بالطيبات .

ان « نادي السينما » التابع لوزارة الثقافة الذي يضم الان اكثـر من خمسة الاف عضو في القاهرة ، واذا ما اضيفت اليه نوادي السينما في المحافظات علاوة على نادي نقابة الصحفيين يمكن ان يتحول الـى معمل حقيقي للتجارب التي تهدف الى التأكد مـن سلامـة اذواق المتفرجين من ناحية والى تحسين هذه الاذواق من ناحية اخرى . وفـي نفس الوقت الذي عرض فيه « نادي السينما » افـلام « القنـاع Persona » لانجمار برجمان ثم « امتياز Privilge » لبيتر واتكن ثم « ثورة اكتوبر » لفردريك روسيف ثم الادوار العليا Pent house لبيتر كولنسون ثم « المدرس الاول » The first teacher لكونتشالو فسكي ، اقول انه في نفس ذلك الوقت ، عرض فـي السوق فيلمـا « اعماق الصورة » Blow up لانشونيوني ، « الحيـاة للحيـاة Vivre pour vivre » لكلود ليلوش واستطاع الفيلمان ، رغـم صعوبتهما الفكرية وتعقيدهما الفني ان يحققا نجاحا تجاريا ضخمـا تفوقا به على كل الافلام التجارية الاخرى التي زاملتهما في السوق . بل ان الفيلمين الثالث والرابع بعدهما ـ من حيث التفوق التجاري كانـا « سبعة وجوه لامرأة » Woman times seven « لفيتوريو دي سيكا» ثم ليلة الجنرالات Night of the generals بالرغم من انه تمثيل عمر الشريف .. وجاءت كل الافلام التجارية التـي اعتادت اكتساح اسواق القاهرة ـ جاءت في المؤخرة .

هكذا نضمن اولا عدم عزلة المثقفين السينمائيين الشبان العزلـة التي كان يمكن أن تهدد بظهور افكار عصبية بينهم لا يمكن ان تكـون نتيجتها سوى مزيد من العزلة ، ثم نضمن الاتجاه الصحيح لتغيير دمـاء السينما المصرية برمتها ، الاتجاه نحو « تثقيف » جمهور المتفرجين لا في القاهرة وحدها وانما في مدن الاقاليم كذلك ـ على الاقل ، ثـم الاتجاه نحو تطعيم عملية الانتاج نفسها بعقول شابة جديدة تمهيدا لان تتكفـل هذه العقول بالعملية كلها .

سامي خشبة

دار الآداب تقدم

القاص العراقي

غائب طعمه فرمان

في روايته الجديدة

خمسة أصوات

صدرت حديثا — الثمن ٥٠٠ ق. ل

العراقه

جواد سليم . . حيـاة جديدة

***

لم يعرف الفن العراقي فنانا نال حظوة ومكانة سواء في حياته او مماته مثل فناننا الراحل المرحوم جواد سليم . واذا حاولنا البحث عن جذور هذا الحب التي تعرش في صدور اغلبيـة فنانينا وجمهورنـا ـ سواء جيله أم جيل الشباب اللاحقين ـ لوجدنـا ان السبب الاول يكمن في جواد الانسان لا الفنان فقط ، لقد كان واعيا وكان دافئـا سارحا . انا واحد من الناس اتذكره وكانه لم يكن يوما انسانا له وجه وعينان ولحية طويلة .. انه يمر بذاكرتي كشخصية روائية قرأتها في مراهقتي ، كان يتأمل اناملي وهي تصارع الطين بطريقة رديئة ولكنـه سرعان ما يفرس اناملـه لتضرب ضربات عاجلة ماهرة تحيل كتلة الطيـن الى تمثال مقنع وجيد ، هذا موقف شخصي من جواد ولكنه عـام ايضا بالنسبة لطلابه وزملائه الاخرين .

ولم تبق صفات جواد (الانسان) سببا أول ووحيدا في شهرته اذ ان وعيه الفني وثقافته العالية سببان اخران ، كان يحب فنه ويخطط لكل عمل سواء في الرسم او النحت ، كان على اطلاع تام بكل ما يدور في مراسم الفنانين الغربيين اضافة الى استيعابه التام للفن الاسلامي والفنون العراقية القديمة ، ويومياته ورسائله التي تركها ومناقشاته مع زملائه وطلابه تؤكد هذا الجانب المهم في حياته الفنية .

وقد مرت في الثالث والعشرين من شهر كانون الثاني ذكرى وفاته السابعة حيث مات شابا عن (٤١) عاما ، وفي خلال هـذه الحياة القصيرة الحافلة (١) حقق اسلوبا عراقيا لـم يكن يتحقق لـولا اصالته في الوعي والثقافة ورابطته العنيفة ببلده ومواكبته لتطوراته والتطورات العالمية) ولم تمر ذكراه هذا العام بصمت كمـا مرت ذكرى السياب الشاعر ـ ولعل الذنب هنا ذنب الشعراء انفسهم ـ فقد اقامت جمعية الفنانين العراقيين أولا ندوة عن جواد في مقر الجمعية تضمنت محاضرة طويلة لمؤيد شكري الراوي وقد طرح فيها مسالة الفن بالنسبة لفنـان عراقي ينظر الى العالم من خـلال عينين مشبعتين بالتراث العربـي والاسلامي اضافة الى تراث ما بين النهرين العظيم ، ثم انصب اهتمـام المحاضر على ايضاح السمات الانسانية التي وفق فيهـا جواد الـى درجة مهمة .

اما وزارة الارشاد العراقية فقد افتتحت يـوم الثلاثاء ٢٣ ـ ١ ـ ١٩٦٨ معرضا لاعمال جواد في قاعة الفن الحديث ببغداد ، تضمن هـذا المعرض مجموعة من لوحاته الموجودة لدى بعض اصدقائه ومحبيه وابرزها اللوحات الموجودة لدى باهر فائق وسالم الدملوجي ورفعت الجادرجي وشقيقته نزيهة سليم وزوجته لورنا . ولعل محاولات جواد الاولى هـي درس جيد لفنانينا الشباب اذ انها بمثابة دراسة للخطوط الاولى لفنان

(١) لمعان البكري ـ مقدمة دليل معرض جواد ١٩٦٨ .

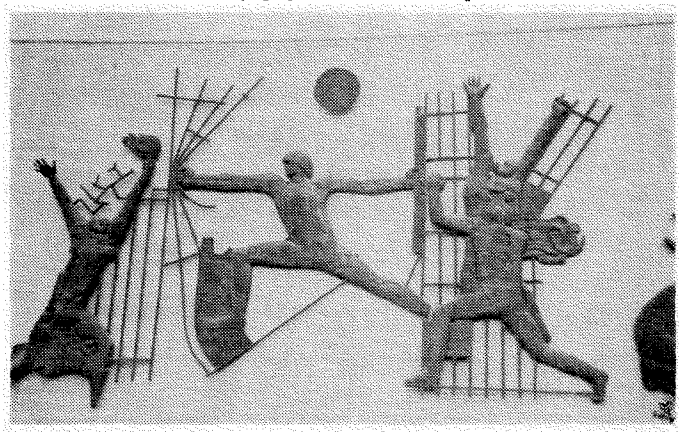

جانب من نصب الثورة ـ لجواد سليم

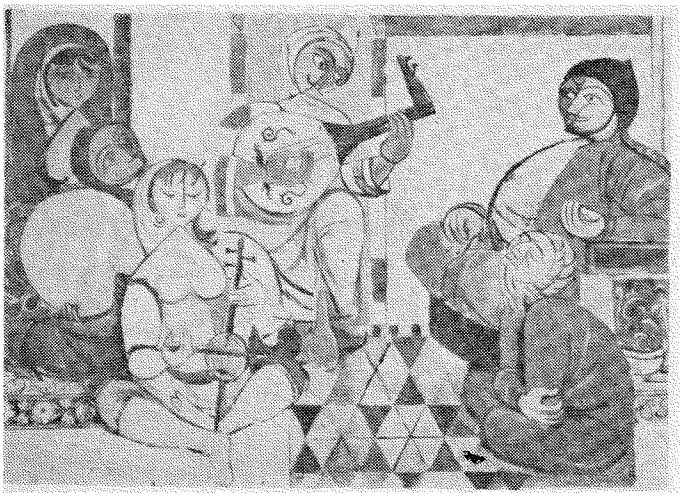

مجلس الخليفة ـ لجواد سليم

***

اصبح له شأن فيما بعد ويتضح فيها تأثره بأعمـال بيكاسو ورينوار وماتيس . ونلاحظ ان كثرة اعمال جواد الاولى في هـذا المعرض تصدم المشاهد وتفقأ الهالة العظيمة التي يحملها عن جواد .. الهالة الكبيـرة جدا ، فقد لاحظنا غياب العدد الاكبر من اعماله الاخيرة ـ في الرسم على الاخص ـ تلك الاعمال التي كانت الوجه الاخير للمدرسة التـي حاول جواد وزملاؤه ارساء ملامحها ، والسبب يقع علـى عاتق اللجنة المشرفة على هذا المعرض اذ كان الاولى بها ان تحاول تصنيف اللوحات بالنسبة لمراحلها الزمنية والحصول على اكبر عدد من اعماله الاخيـرة التي تمثله كل التمثيل ، ولكن المعرض كفكرة شيء رائع جدا .

وفي مساء الجمعة ٢٦ ـ ١ ـ ١٩٦٨ اقيمت امسية اخرى عـن جواد في قاعة الشعب اقامها بعض اصدقاء جواد ومحبي فنه ، تضمنت قصائد وكلمات عنه ، ولعلنا نرفض مبدئيا طريقة التأبين الشائعة فـي مدح الراحل وايضاح محاسنه ، فتأبين فنان يعني قبل كل شيء تقييم فنه فقط ، ولكن في الامسية قصيدة رائعة اهداها الشاعر عبد الامير الحصيري في مائة وثلاثين بيتا الى ذكرى الفنان الراحل وفيما يلـي بعض ابياتها :

(وادي الحياة خفي القاع .. يحضنه سفحان : نضر ، وسفح مأتم خرب
والعمر خيط يلاقي بيـن بعدهما حينا ، ويفجاه رعـد فيغتصب
تمشي عليها الليالي غير راغبـة قوافلا ليس يهنـي عودها سبب
تمشي وتتبعهـا الظلماء حافيـة وتفتح الربح دربـا ارضه الريب
حتام نحن نداجي الغيب عن أمـل بريقـه لرمـاد الـروح ينتسب
حتـام ننسج للبلوى معاذرهـا من انفس صاغ منها ثوبه اللهب)

وفي المجال الاذاعي قدم السيد سجاد الغازي حلقة خاصة عن جواد سليم في برنامجه (صوت الفن) تضمنت مقابلة مع مؤيد شكري الراوي والفنانة نزيهة سليم التي تحدثت عن ذكرياتها مع شقيقها .

والشيء الوحيد الذي يسجل على الحركة الفنية هو عدم صدور دراسة جادة عن فن جواد منذ وفاته حتى اليوم ، وفي هذه الذكـرى ايضا لاحظنا غياب المقالات الفنية في الصحف حتى المبتسر منها ، وهنـا لا اسجل تلك المقولة الشائعة التي تستعمل فـي المناسبات السياسية خاصة والتي تقول : (لنجعل من هذه المناسبة منطلقا .... الخ) ولا اعيدها ايضا ، ولكني اذكر ان ظاهرة الاحتفال بجواد دليل علـى وعـي الجمهور العراقي وتفتحه على الفن واقباله على المعارض ، كما انها دليل على تعلقه بالفنانين الصميميين الذين تبنوا قضاياه واستوعبوا تراثـه وانطلقوا منه وعلى رأسهم جواد سليم ، اما الدعوة الى دراسة اعمال جواد سليم دراسة نقدية جيدة فهي تسع عدة مؤلفات لا كلمات ومقالات سريعة ، اذ ان دراسته تعني دراسة الفن العراقي الحديث ومحاولـة رصده وتقييمه .

بغداد — **عبد الرحمن مجيد الربيعي**